ردمد: ISSN 2602-618X

التواجد الروماني في الصحراء الجزائرية

الأستاذ حمادوش بولخراص، جامعة ابن خلدون تيارت

Roman Presence in the Algerian Desert

By Hamadouch Boulekhras, University of Ibn Khaldoun - Tiaret
hamadoune1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 06/ 09/ 2019 تاريخ القبول: 23/ 09/ 2019 تاريخ النشر: 22/ 10/ 2019

الملخص:

حسب المصادر المادية والأدبية اللاتينية والإغريقية التي تذكر أخبار الحرب المندلعة جنوب موريطانيا ونوميديا، بدأ تواجد الرومان في الصحراء الجزائرية مع بداية العصر الإمبراطوري الأعلى حيث وصلت الكتائب العسكرية الرومانية إلى أبعد نقطة في الصحراء الجزائرية وهي منطقة ديميدي دمد حاليا في مسعد، قاموا بتأسيس قلعة كمركز متقدم دفاعي عسكري واقتصادي الهدف منه تجنب عمليات السطو المفاجئة على المدن والقرى الرومانية المتواجدة في الشمال من طرف أمازيغ الصحراء المتمردين.

الكلمات المفتاحية: الصحراء الجزائرية؛ الرومان؛ الأمازيغ؛ الفيلق الأغسطي الثالث.

Abstract: According to the Latin and Greek material and literary sources that cite the news of the war in southern Mauritania and Numedia, the presence of the Romans began in the Algerian desert, with the beginning of the High Imperial era, where the Roman military battalions reached the furthest point in the Algerian desert, the area of Demidi, now in Massad. They established a fortress as an advanced military and economic center, which aimed at avoiding sudden robberies by rebel Amazighs on Romanian towns and villages in the north.

Keywords: Algerian Sahara ; Romans; Amazighs; The Third Augustan Legion.

1. المقدمة:

المعلومات التي تتحدث عن التواجد الروماني في الصحراء الجزائرية تبدوا الأخبار عنها ضئيلة، الشيء المتوفر هو ما ذكر في الآثار المادية والأدبية الرومانية بما يسمى سجل مواكب النصر Fasti Triumphales، الذي يحكي عن انتصارات ولاة إفريقيا أواخر القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول للميلاد أي فترة حكم أغسطس بالتقريب من سنة 33 ق.م إلى 19 م ومن جاء بعده من الأباطرة، وعلى هذا الأساس تطرح الإشكالية: إلى أي حد استطاع الرومان التوغل في الصحراء الجزائرية وما الغرض من محاولتهم احتلال المنطقة.

2. الحملات الرومانية في الصحراء الكبرى:

يذكر في سجل مواكب النصر أنه احتفل في روما بما لا يقل عن ستة انتصارات للرومان على الأمازيغ في الصحراء الكبرى، ومن أبرز الحملات الرومانية في تلك الفترة حملة القائد ل. كورنيليوس بالبوس L.Cornelius Balbus بين سنتي 20-21 ق.م، الذي وصل إلى شط الحضنة في حربه ضد قبائل الجيتول Gaetulii، وفي حملة أخرى واصل القائد بالبوس توغله داخل الصحراء إلى واحة قيداموس Cydamus غدامس حالياً، ثم إلى قبائل الغرامنت Garamantes نحو واحة جرمة حاليا في إقليم فزان وما جاوره، هذا ما ذكر حسب بلين الكبير في كتابه التاريخ

الطبيعي[1]، تورد كذلك المصادر الرومانية أخبار الحرب التي اندلعت جنوب موريطانيا بعد سنة 19 ق.م، بسبب غضب قبائل الجيتول الغربيين على الملك يوبا الثاني، تمكن البروقنصل كسوس كرنليوس لنتلوس Cossus Cornelius Lentulus من إخماد هذه الثورة سنة 6 م[2].

3. التنظيم العسكري فترة الإمبراطور أغسطس:

بعد تولي أغسطس سنة 27 ق.م عرش الإمبراطورية الرومانية أضحى الجيش نظامي يتكون من فيالق مجندة ذات أصول رومانية، حتى الكتائب المساعدة كانت من صميم الجنس الروماني مثل الكتيبة الخامسة عشر XV Cohors المستقرة بمقاطعة إفريقيا البروقنصلية، كان الإمبراطور يعين على رأس الكتائب ضابط من صفوف الفرسان، أما في المغرب القديم يظهر اختلاف في التنظيمات العسكرية عن المقاطعات الرومانية الأخرى، حيث يتم تجنيد الكتائب والفرق من قبائل الجيتول، النوميد، المور، والموزولام ، والتي كان يوجه معظم وحداتها العسكرية إلى مقاطعات أخرى في آسيا وأوروبا لخوض حروب الرومان ضد بقية الشعوب المتمردة، هذه الفرق كان دورها في البداية مراقبة الليمس Limes فقط لكن استخدمها الأباطرة الرومان الذين خلفوا أغسطس في فرض النظام والتوسع في أقاليم أخرى مثل الكتائب المورية التي وجهت

(1) بشي إبراهيم، **أهمية حوض غدامس الحضارية منذ 12 ق.م إلى عهد الاستقرار**،ع. 10، الجزائر، جامعة الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، 1997، ص. 235.

(2) المحجوبي عمار، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العصر السويري (146ق.م-235 م)، تونس، مركز النشر الجامعي، 2001، ص ص. 94- 95.

إلى إقليم داكيا Dacie، أما الكتائب المتواجدة في موريطانيا القيصرية والطنجية فقد كان جندها من الأسبان والسوريين أكثرهم مشكل لوحدات الفرسان Equitatae.

3. 1. خط الليمس في عهد الإمبراطور تراجانوس.

بعد الإمبراطور أغسطس الذي فتح المجال للأباطرة الذين خلفوه في محاولة اكتشاف الصحراء الكبرى، تمكن الجيش الروماني والكتائب المساعدة بعد عدة حملات من التوغل نحو الجنوب إلى أبعد نقطة كحد أقصى في الصحراء الجزائرية وبالأخص إلى قلعة ديميدي Castellum Dimmidi [3] التابعة حاليا إلى مسعد Messad[(4)] بجبال أولاد نايل الجلفة، والتي تعتبر أبعد نقطة وصل إليها الرومان في صحراء الجزائر حسب ما وجد من آثار حاليا، هذه المنطقة كانت تسكنها قبيلة الأطولولي Autololes الجيتولية Gétules، التي لم تخضع للسلطة الرومانية إطلاقا ولم تتوقف غاراتها نحو التل منذ فترة حكم الإمبراطور تراجانوس Trajanus، هذا الأخير وضع خط دفاعي عسكري واقتصادي بين تيبيناي Tubunae طبنة ضواحي باتنة حاليا وكالكيوس هركيليس Calceus Herculis [(5)] القنطرة [(6)] حاليا نواحي بسكرة، الهدف من هذا الخط الدفاعي تجنب الظهور المفاجئ للمتمردين ووقف

3- Gilbert Ch-Picard. **Castellum Dimmidi**. In: Journal des savants. Paris, 1949, p. 55 .Y. Le Bohec, Encycloédie Berbère. **Dimmidi (Demmed-Castellum)**, pp.2345-2349.

(4)-Eugène, Massiera Paul. **Le poste romain de Messad (Algérie)**. In: Revue des Études Albertini Anciennes. T. 41, 1939, n°:3, p. 223.

(5)Gilbert Charles-Picard, op- cit, p. 56.

(6)Morizot Pierre. **Les voies romaines de Lambèse à Calceus Herculis (El Kantara, Algérie)**. In: Antiquités africaines, , 34, Paris,1998. pp. 149-155.

عمليات السطو على المدن والقرى الرومانية في الشمال، لذا قام ببناء قلعة ديميدي، المتقدمة في الخطوط الحدودية الأمامية من أجل مراقبة تحركات السكان واعتمادها كنقطة انطلاق ضد أي عمل عدائي، تم تأسيس برايتونتيرا Praetentura والتي تعني مركز جد محصن ومنيع لغرض الدفاع المتقدم، تم تشغيله من قوى عسكرية رومانية مختلطة، حوالي 200 جندي من الفيلق الأغسطي الثالث Légions III Augusta الذي كان دوره دعم الجيوش بالفرق وهذا ما يبدو عندما بعث قوات إلى الشرق للمشاركة في حرب البارثيين Parthes[7].

نفس العدد بعث من الفيلق الغالي الثالث Légions III Gallica المكون من الجنود السوريين والذي كان له بالغ الأهمية في الفرق العسكرية بإفريقيا، وبدعم الجناح البانوني Ala Pannoniorum حوالي 500 فارس، وعلى رأس الحملة محافظ الجناح فلافيوس سيبر Flavius Super، أما عن مهام الفصيلتين المكونة من الجند المشاة يتمثل في بناء الحصن، والفرسان يتمثل عملهم في القيام بدوريات منتظمة حول محيط الحصن ثم التوغل نحو الجنوب في الصحراء للتعرف أكثر عن المنطقة، بعد نهاية الحملة وإتمام بناء الحصن تم سحب جناح الفرسان مع ترك الفصيلتين العسكريتين للإشراف والحماية ودرء هجمات بدو الصحراء.

3. 2. خط الليمس الموسع فترة حكم الأسرة السيفرية.

يذكر أنه بعد تحركات قبائل الجيتول الصحراوية نحو الشمال، قام الإمبراطور كومودس Commodus بإضافة كتائب مساعدة إلى الجيش النظامي المتمثل في

(7)Gilbert Charles-Picard, op-cit, p. 56.

الفيلق الأغسطي الثالث وهذا تجنبا لتأزم الوضع في الجنوب ، هذه الكتائب المتمرسة على العيش والحرب في الصحراء وجهت إلى جنوب سيرتا Cirta حاليا قسنطينة، والتي أثبتت فعاليتها ضد المقاومة بين أفلو والبيض حاليا([8])، خاصة الكتيبة السادسة كوماجنوروم Cohors VI Commagenorum، والتي لعبت دور كبير في محاربة القبائل النازحة من موريطانيا جنوبا([9]).

من أهم أعمال الفيلق الأغسطي الثالث التي قام بها، بعث الفرق العسكرية نحو الصحراء لحماية الحدود إلى مسعد ومعسكر جملاي Gemellae حاليا القصبة، ومن أشهر الفرق التي شاركت سنة 174م في الحملة الموجهة إلى مدينة آفلو والتي كانت تمول مركز مسعد جناح فلافيا Ala Flavia والجناح البانوني Ala Pannoniorum وجه إلى القهرة حاليا سلمانة، لقد تم تدعيم هذه الفرق أواستبدالها بالفرق السورية خاصة بين سنتي 198 إلى 201م حسب النقيشة الشرفية للإمبراطور سبتيميوس سيفريوس Septimius Severius المهداة من طرف ك. انسيوس فوستوس Q. Anicius Faustus حاكم نوميديا([10])، كما تعممت عملية الدعم في فترة حكم الكسندر سيفريوس Alexandre Severius الذي أحدث عدة تغيرات على خط الليمس([11]).

(8)C.I. L., VIII, 21567

(9)Carcopino Jerôme. **Le Limes de Numidie et sa garde Syrienne**. In: Syria. T .6, Fascicule 2, 1925, p. 118.

(10)Albertini Eugène, Massiera Paul, op.cit, p. 229.

(11)Carcopino Jerôme, op.cit, p. 128.

في الواقع الفصائل السورية كانت جد فعالة في حروب الصحراء، نظرا لخبرتهم وتميزهم بالأساليب المختلفة في حربهم ضد أمازيغ الصحراء الكبرى، هذه التجربة استفاد منها الرومان من جراء الحروب بالمشرق، عندما قام الإمبراطور كومودس Commodus بجلب الفصائل التدمرية من سوريا للدفاع ومراقبة خط الليمس النوميدي ورد هجمات الأمازيغ(12).

واصل سبتيموس سيفريوس مبادرات كومودس السابقة، المتمثلة في عدة إصلاحات على المدى الطويل مفصلة وجدية عن سابقتها، قام بتوسيع خط الليمس النوميدي بتمديد الحدود العسكرية نحو الجنوب الصحراوي لمراقبة القبائل الجيتولية، ودعم الفرق العسكرية مع إعطائها تدريب خاص لمواجهة التمرد، ولنجاح العملية وضع جند متمرسين على العيش في الصحراء(13).

قبل سنة 225م كانت لا تزال الفرقة العسكرية متمركزة داخل قلعة دمد، لكن بعد سنة 226م في الأشهر الأخيرة قررت السلطة الرومانية العمل على مراقبة الطرق بتوظيف قوات متنقلة خفيفة العدة والعتاد للتحرك والتدخل بسرعة، لذا قامت بتثبيت الرماة التدمريين لدعم الحامية، كل هذا لم يكن مجدي في الواقع لأن الهجمات على القرى والمدن الرومانية وحتى على المؤونة الموجهة إلى الحصن لم تتوقف(14)، من الواضح أن تواجد الكتائب وخاصة المجندة من المنطقة العربية السورية كان في

(12) Gilbert Charles-Picard, op-cit, p. 57.
(13)Carcopino Jerôme, op.cit, p. 119.
(14)Gilbert Charles-Picard, op-cit, p. 58.

الواقع بداية من سنة 78م، ودورهم كان مراقبة الليمس المتمثل في منطقة الحد الفاصل بين التل والصحراء جنوب الولاية الإفريقية الرومانية والذي دعم أكثر بهذه الفرق في سنة 163م.

4. جلاء الرومان عن الصحراء الجزائرية:

على إثر الظروف المستعصية أتخذ قرار الجلاء من طرف البروقنصل م. انطونيوس قورديانوس الثالث M. Antonius Gordianus III، الرامي بإخلاء المناطق الغير مزروعة بما فيها منطقة مسعد، معتمدا في الدفاع عن إقليم نوميديا ومراقبة خط الليمس على الكتائب المساعدة(15)، قام كذلك بحل الفيلق الأغسطي الثالث سنة 238 م نظرا لتصويتهم ضده حسب بعض المؤرخين، هذا الفيلق أستقر بقلعة جميلاي في 22 أكتوبر253 م، مع مشاركته في محاربة قبائل الونشريس المتمردة بإقليم موريطانيا القيصرية بداية من سنة 262 م.

من خلال المصادر المادية كان التواجد الروماني في الصحراء الجزائرية ظرفي على طول الخط الحدودي بين الصحراء والتل، من إقليم نوميديا في الجنوب الشرقي إلى إقليم موريطانيا القيصرية في الجنوب الغربي، حسب النقائش والعملات التي وجدت بالمنطقة الصحراوية منها: اكتشاف عملة رومانية برونزية جنوب الدوسن تعود لفترة حكم فاليريانوس Valérianus 253م إلى260م، وعملات أخرى وجدت في القهرة جنوب بوسعادة تعود لفترة حكم هادريانوس Hadrianus ،

(15) Gilbert Charles-Picard, op-cit, p. 59.

كذلك العثور على نقيشة إهداء بالمنيعة تبين تأسيس المستعمرة بداية من سنة 166م، ونقيشة أخرى بعين السلطان جنوب بوسعادة[16].

5. الخاتمة:

لم تتوقف المقاومة الأمازيغية في الجنوب منذ تولي عرش الإمبراطورية أغسطس إلى الاحتلال الوندالي، اشتدت في القرن الأول من قبل النوميد والجيتول الجنوبيين، وفي القرن الثاني تواصلت من طرف الموريطانيين في الغرب ولم تتوقف حتى منتصف القرن الثالث واستمرت طيلة القرن الرابع من طرف القبائل التلية أشهرها قبائل البافار Bavares والموزلاميس Musulames[17]. الجيش الذي كان له الدور الكبير في مواجه المقاومة الأمازيغية فترة العصر الإمبراطوري الأعلى هو الفيلق الأغسطي الثالث، والذي دعم بكتائب مساعدة في نوميديا وموريطانيا أثناء حربه ضد المقاومة الأمازيغية، هذه الكتائب استمرت بعد حل هذا الجيش في حراسة الحدود الجنوبية ومراقبة الطرق والمنافذ نحو الشمال، بما يسمى الليمس الإفريقي من الشط الصحراوي وواد جدي في الشرق مرورا بتخمارت CohorII Brucorum إلى البنيان Ala Miliaria بالغرب[18]، ويستمر إلى جنوب الرباط بالمغرب وصولا إلى المحيط الأطلسي.

(16)Carcopino Jerôme, op.cit, p. 146.

(17)René Gagnât, L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs (2e édition). In : Revue des Études Anciennes. Paris, Imprimerie Nationale,1912, p. 350.

(18)René Gagnât, op-cit, p. 351.

مخطط عام لقلعة ديميدي حسب شارل بيكار(19)

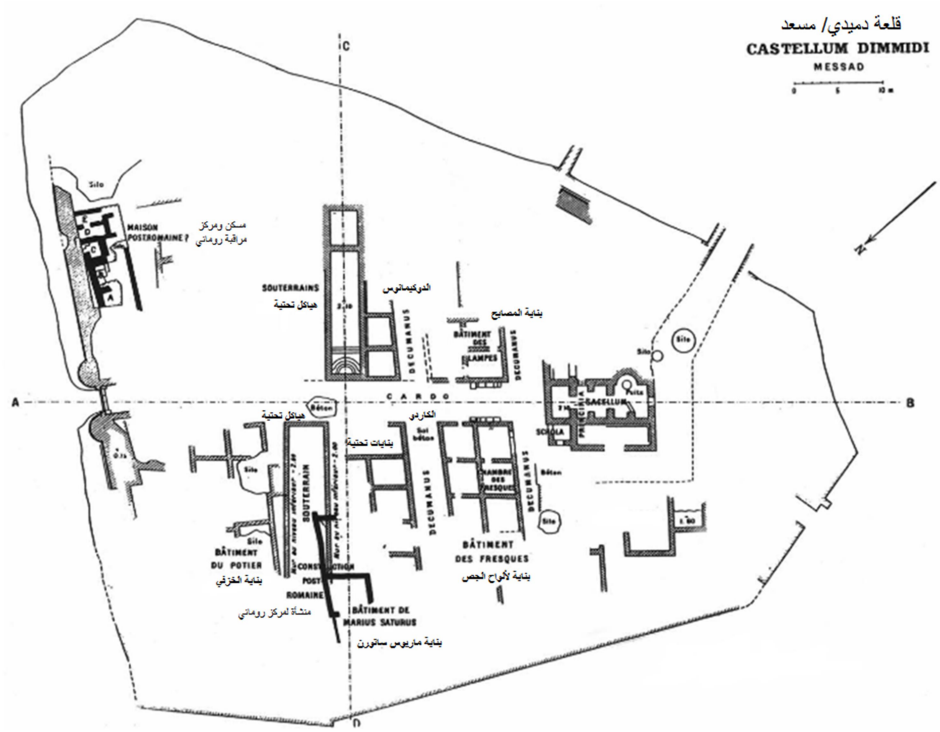

التاريخ العسكري لقلعة ديميدي (20)

الوقائع	التاريخ	الوحدة المقصودة (الحد الأقصى 300 جندي)

(19)Y. Le Bohec, op- cit, p.2345-2349.

(20)Y. Le Bohec, op- cit, p.2345-2349.

التأسيس	198	الفيلق الأغسطي الثالث III^e Légion Auguste الفيلق الغالي الثالث III^e Légion Gallica الجناح البانوني I^re Aile Pannoniens
الاحتلال العسكري	198- 225	الفيلق الأغسطي الثالث III^e Légion Auguste
	226- 232	الفيلق الأغسطي الثالث III^e Légion Auguste الفرق التدمرية numerus de Palmyréniens الجناح الفلافي Aile Flavienne
	235- 238	الفيلق الأغسطي الثالث III^e Légion Auguste
إخلاء	238	

قائمة المراجع:

- بشي إبراهيم، **أهمية حوض غدامس الحضارية منذ 12 ق.م إلى عهد الاستقرار**،ع. 10، الجزائر، جامعة الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، 1997.
- المحجوبي عمار، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العصر السويري (146ق.م- 235 م)، تونس، مركز النشر الجامعي، 2001.
- Gilbert Charles-Picard. **Castellum Dimmidi**. In: Journal des savants. Paris, Janvier-juin 1949.
- Yann Le Bohec, Encycloédie Berbère. Volume, n° :15. **Dimmidi (Demmed-Castellum)**. Paris, 1995.

- Albertini Eugène, Massiera Paul. **Le poste romain de Messad (Algérie)**. In: Revue des Études Anciennes. Paris, T. 41, n° :3, 1939.
-
arcopino Jerôme. **Le Limes de Numidie et sa garde Syrienne** . In: Syria. Paris, T .6 fascicule 2, 1925.
- Morizot Pierre. **Les voies romaines de Lambèse à Calceus Herculis (El Kantara, Algérie)**. In: Antiquités africaines, 34, Paris, 1998.
-
ené Gagnât, **L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs (2e édition)**. In : Revue des Études Anciennes. Paris, Imprimerie Nationale, Tome 15, n° :3, 1912.